1. فلاسفة الشك المعاصرين: (فردريك نتشه، سيغموند فرويد):

إن الخوض في فلسفة عنونها فلسفة نتشه ينبغي التأكيد أولا وقبل أي بداية أن فكره وفلسفته مزيجة بحياته التي عاشها، إن نتشه هو الفيلسوف الذي كانت له الجرأة في تقديم حياته في شكل فكر وفلسفة، هو الذي يتفلسف بشخصيته ومواقفه وكيانه، وفلسفته هي بعيدة كل البعد عن كل يوتوبيا أو مثالية تجريدية كما هو الحال مع الفلسفات المذهبية السابقة، إنها فلسفة مرتبطة بالحياة وهنا تكمن فرادة نتشه ضمن الفلاسفة السابقين ككل، الحياة هي هوية الفكر بالنسبة له.[1]

في نصف القرن التاسع عشر من عام 1844، ولد نتشه في منطقة ريكن وفي بلدة صغيرة بالقرب من ليبتسج وبالتحديد في بروسيا، كانت عائلته من رجال الدين تنحدر أمه من أسرة إيلر اللاهوتية وهي أسرة كل أفرادها شغلوا العديد من المناصب الدينية، ربته أمه في وسط نسائي مؤمن في البداية كان شغوف بدراسة اللاهوت ولكنه افتقد ايمانه كما قيل وكان الدين له دور مهم في طفولته حتى لقب نفسه فيما بعد بعدو المسيح، كرس كل حياته من أجل أن ينتقد نقدا لاذعا الدين المسيحي والمسيحية السائدة أنذلك لقد عاش بعد وفاة الأب وهو ابن الخامسة من عمره في جو نسائي خالص، لكن الجو النسائي والديني لم يقتنع به فيما بعد وثار عليه في عام 1858، التحق نتشه بمعهد بفورتا ثم التحق فيما بعد بجامعة بون انتقل مع أستاذه إلى ليبتسج ليتعلم هناك فقه اللغة والأدبيات الكلاسيكية، هناك ابتعد كل البعد عن اللاهوت الذي كان يسود ألمانيا أنذلك، ظل نتشه في الجامعة لمدة خمس سنوات كاملة وبعد ذلك صادفته الخدمة العسكرية، في نفس العام الذي اكمل فيه دراسته في الجامعة، عين أستاذا لفقه اللغة في جامعة عريقة هي بازل بعد أمر من أستاذه ومعلمه ريتشل الذي قدم له وصف هناك لا مثيل له وهو أنه عبقري هنا دخل نتشه حياته الأستاذية كباقي الأساتذة هنا بدأ نتشه يخط معالم فلسفته[2] ورأى ان مصادرها ستكون من فلسفة شوبنهاور، و موسيقى فاغنر، قدم موقفه في الحرب التي حدثت بين فرنسا وألمانيا وبين أن الألمان هم الذين ظلموا الفرنسيين، ونتشه أنذاك كان يحب وطنه ألمانيا بل وأراد إعادة بناءه المحاضرات التي كان يلقيها في فقه اللغة لم تحقق النجاح وحتى كان له أول مؤلف لم يلقى كذلك نجاحا من طرف القراء عنوانه:" مولد التراجيديا أو المأساة من روح الموسيقى" هنا بدأ المرض يشتد عليه وذلك جعل يغيب عن الجامعة وفي هذه الفترة كان يكتب عن شوبنهاور، وفاغنر في كتاب عنوانه: "خواطر في

---

[1] _ فؤاد زكريا، **نتشه سلسلة نوابغ المعرفة**، دار المعارف، مصر، ط2، 1954، ص17.

[2] _ المرجع نفسه، ص 23

غير أوانها" وحينما انقطع عن الجامعة وأقام في إيطاليا وسويسرا بدأت مرحلة التأليف العقلي والنقدي، بدأ ينتقد العصر الذي عاش فيه نقدا لاذعا كان هنا من بين مؤلفاته الصادرة:

_ أمور إنسانية إنسانية إلى أقصى حد 1872

_ الفجر

_ العلم المرح 1882

_ هكذا تكلم زرادشت 1883

_ بمعزل عن الخير والشر 1885

_ جينيالوجيا الأخلاق 1886

_ إرادة القوة 1888

_ كتاب نتشه ضد فاغنر، هو ذا الرجل

عندما وصل إلى مرحلة فيها غزارة في التأليف أصيب نتشه بمرض الجنون تقريبا في 1888 عزلته ووحدته جعلت أسلوبه يتسم بنوع من الترفع والتعالي، قضى نتشه 12 عاما في فيمار إلى غاية وفاته ابتعد عن عالم الفكر والعقل توفي 1900.

كان نتشه مهتما باليونان درس نصوص الفلاسفة اليونان عندما منشغل بفقه اللغة.[1]

أ_ نتشه وتجاوز العصر:

إذا كانت فلسفة هيغل تتعالى بالواقع إلى مرتبة المفهوم أو إن شئنا المثالية، وحصرت التاريخ في انغلاق النسق فإن نتشه على العكس تماما أراد أن يحرر الفكر والعقل عموما من سطوة النسق وفظاظته ويكف عن الانشغال بالحاضر في حضوره الآني، نتشه يعد من الفلاسفة الذين ينتقدون بشدة الراهن والحاضر والعزوف عن التاريخ، لقد كان طموحه هو تجاوز القرن التاسع عشر والتعالي عليه تعاليا فريدا من نوعه ولهذا الكثير من الدراسات حوله تؤكد أن وصف نفسه بذلك القدر الذي لم يحن بعد ولم يحن حينه كان يصف نفسه عبقري الأبد مفكر يسكن داخل الفكر لكنه في مفترق القرون، كان ينعت فكره بفكر الإنسان الأخير الديونيسوسي والديونيسوس هو إله النشوة والمغالاة وتمجيد الحياة والوحي عند الإغريق هذا

---

[1] _ فرانسوا أوبرال، **معجم الفلاسفة الميسر**، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص112.

الانسان الأخير يقصد به نتشه ذلك الانسان الذي يشتاق لميلاد إنسان أعلى لقد تبرأ من عصره وبين أن العصر الذي يليق بالفكر والحياة لم يحن بعد، وصل به الحد نتشه إلى تنكر بلده ألمانيا فيما بعد بعدما كان يكن الحب لها، لان في نظره ألمانيا والوضع الذي كان سائدا فيها هي بلد التسطح الذهني والفظاظة والانحطاط لتلك القيم السائدة فيها، قيمها هي قيم آفلة وبائدة حتى أنه يقال تنكر لبني جلدته الألمان لأنهم لا يقوون على مباشرة الحياة والتأقلم معها في خطوة جمالية بطولية ولا يفكرون في ان الوجود هو إرادة قوة.

إن نتشه بهذا الأسلوب المتعالي والنقدي لم ينتقد فقط ما هو آني وراهني بل صوب نقده اتجاه الثقافة الألمانية بأكملها والتي جعلت من التاريخ أقنوما بحيث رفعت ما هو تاريخي إلى مستوى إلهي ومقدس تمسكت بالماضي وتعصبت له ونزهته عن النقد والمراجعة أي تمسك بحبله المهترئ وذلك لا يعتبر عن نتشه سوى تمرد على غريزة الحياة، هذا ما جعله يؤكد على التمسك بالحياة في كتابه: "خواطر في غير أوانها" لابد من التخلص والفتك بالماضي والعصف به أبدا ولهذا ألمانيا التي يحلم بها نتشه هي متمسكة وغارقة في أوحال الماضي وحتى في التاريخ أصابها مرض التاريخ، هذا ردا على الفلاسفة الذين سبقوه مثل هيغل والذي جعل الفكر الإنساني وخاصة فكر الشعب الألماني يبجل التاريخ ويقدسه ولا يستطيع التحرر من قبضته بل أصبح لديه حتمية وطبعا هذه الحتمية فرضها هيغل على حساب الدين والفن.

لقد أصبح التاريخ في زمن هيغل هو صنم يعبد ومحض ميتافيزيقا للراهني والحاضر وبدعة الحياة وفي الحقيقة في نظر نتشه هذا كله هو ضد الحياة.

ب_ تجاوز الميتافيزيقا (التخلص من وثنية العصر الحديث):

إن فلسفة نتشه في اعتقاد الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر ما حققته من نقد وزعزعة جذرية للميتافيزيقا التقليدية هي نقل للميتافيزيقا الماهوية على الميتافيزيقا القيمية والحياتية، هذا لن يتم في اعتقاد هيدغر دون استحداث آليات جديدة في بحث الخطابات وتأويل النصوص وهذا عند نتشه ما يعرف بالمنهج الجينيالوجي

الذي يريد من خلاله نتشة تقديم تصور جديد للفلسفة وإرساء طريق جديد للحقيقة[1]

---

[1] _ محمد أندلسي، **أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نتشه**، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2015، ص65.

نتشه قدم نقدا جذريا لثقافة عصره وبين ما هو خاضع للزوال من قيم الحياة، وكل الأوثان السائدة فيها وهذا كان عنوان لمؤلفة "أفول الأصنام" ومؤلف أخر موسوم "بغسق الأوثان" هذا يدل على أنه فيلسوف ليس مقتنعا بالأزمنة الحديثة، أكثر من ذلك هي ثقافة للانحطاط والزوال هي ثقافة أفول يميزها التدني ولهذا أوربا في العصر الحديث كانت تتباهي بقيم التقدم والديمقراطية والمساواة والجمال في الحقيقة هي قيم تبعدنا عن أوربا التي نحلم بها ببساطة أوربا الأصيلة لهذا يؤكد ويقول:" أن أوربا ما كانت تعيشه من نبل وأصالة وكل أشكال الذوق والحساسية، والتقاليد وغيرها فرنسا هي المسؤولة عن كل ذلك أما ثقافة القطيع والتدني في الأفكار، المسؤول عنه هو إنجلترا." [1]

تأسيسا على ما سبق في نظر نتشه علينا التخلص من بقايا الثقافة الإنجليزية ومحاو استعادة الذوق الفرنسي لأن فرسنا كان يصفها نتشه ببلد الذوق الجمالي أو الاستطيقا، ينبغي إعادة استحضار فرنسا التراجيدية التي كانت وطن عباقرة وفلاسفة الألمان من أمثال: شوبنهاور، فاغنر، جوته...الخ بل وتمثل لهم مدرسة ميتافيزيقية وجغرافيتهم، ليس المقصد هنا الجغرافية الطبيعية وغنما الجغرافية الذهنية، لتصبح ألمانيا تعلن زوال النسق، إنجلترا تمجد المشروع الحداثي، فرنسا تبقى جغرافية للفنانين بل هي بلد الاستطيقا كما ذكرنا سالفا. لهذا نتشه كان متأثر بالفرنسيين رغم أن انتماءه هو ألماني وجرماني، ولهذا فالعقل الأنواري وعقل الأزمنة الحديثة الذي يكرس حب الذات والحرية الذاتية، اتضح أنه لا يستطيع التركيب بين المتناقضات وحل الأزمات التي تتخبط فيها الحضارة الغربية بل نزع عن مبدأ تحقيق تلك اللحمة الروحية والجمالية وعاجز عن إنتاج القيم المستقبلية التي تخرج الحضارة من أزمتها الخانقة، السؤال المطروح كيف يتنسى للعقل إعادة هذا الطابع الجمالي للحضارة الغربية ويحقق تلك الوحدة بين القيم؟

يجيبنا نتشه أن هذا المشروع لا يمكن أن يتحقق دون بناء نظرة استطيقية مستقبلية لأنها هي التي تخلصنا من أوهام العقل الحديث والحداثة عموما.

ج _ بديل التجربة الإستطيقية:

إن الفن في فلسفة نتشه له مكانة هامة ومحورية، إنه خلاص ونسغ في الحياة وهو ترياق ضد الانحطاط والأفول لذلك يؤكد مرار وتكرارا أن الدين والأخلاق وكل فلسفاتنا ما هي إلا أشكال انحطاط والشيء الذي يزيل هذا الانحطاط هو الفن من حيث هو قوة فاعلة في الحياة، إن الفكر العقلاني السائد اليوم سواء ديني

[1] _ F.NIETCHE, **par de là le bien et le mal**, traduit : G.Bianquis 10 /18. 1951, p.199

سياسي، اجتماعي هو انحطاط لأنه فكر ضد الحياة الأصيلة، فكر لا يبين الحياة في معناها الديونيزيسي فكر لا يعانق الكينونة كإرادة قوة ولا يظلع إلى الفن.

في نظر نتشه الفن ليس هو ابداع لقيم جمالية وفقط كما هو معروف عند فلاسفة الفن بل هو دلالة بالنسبة لكينونتنا وماهيتها هو الذي يتولى مهمة تمثيل المطلق والكينونة الأصيلة في الحياة كما أنه يجسد إرادة القوة، فإذا كان هيغل أعلن موت الفن فإن نتشه جعله المخلص الوحيد في الحياة وهو تحرر من عدمية الدين والفلسفة والأخلاق السائدة، التجربة الإستطيقية هي ترفع من الانحطاط وتستشرف المستقبل والحياة الأصيلة، هي طوق للعدمية وخروج من عهد الحداثة، تجاوز للأفلاطونية كميتافيزيقا مقدسة للعالم المعقول أفلاطون كان يريد بنا الوصول إلى الحقيقة على حساب الفن لكن عند نتشه الفن هو أسمى من الحقيقة فإذن معانقة الفن هو قلب للأفلاطونية واسترداد للحياة في صحوتها وتوهجها ضد العدمية.

هنا تكون معادلة نتشه كالتالي نهاية وقلب الافلاطونية هو نهاية للإنسان وفي نفس الوقت بشارة لمخاض ساعة الإنسان الأعلى.

د_ الإنسان الأعلى في مقابل إنسان العصور الحديثة:

يؤكد نتشه أن الانسان الذي يسكن اليوم هو الإنسان الأعلى الذي لا يمكن فهمه والاتصاف بصفاته إلى بحضور الأبعاد الإستطيقية فيه، (surhomme) وهذا كذلك لن يتم إلا في سياق قلب الأفلاطونية والتحرر من الانحطاط الراهن، لكن السؤال المطروح من هو هذا الانسان الذي يريده نتشه؟

لفظة الانسان الأعلى تعني عند نتشه ما يلي: (Mensh) وتعني الانسان، (uber) وتعني الأعلى أو المتفوق، لفظة الانسان الأعلى تعني على العموم حسب نتشه ذلك الانسان الذي يعلو على مرتبة الانسان التقليدي، الذي اختزلته الأنثربولوجيات التقليدية وكلمة الأعلى هي تمضي بالإنسان أبعد من ذاته وتشرعه على زمن أنطولوجي مغاير ويتجاوز زمن الحداثة هو انسان ضد الحداثة والمقصود هنا حسب نتشه ليس الانسان كإنية عاقلة أو جوهر مفكر هذا الانسان هو الذي عبر عنه زرادشت عندما قال:" هذا أنا أعلم عقيدة الانسان الأعلى ألا إن الانسان الأعلى هو معنى الأرض" هذا يدل على أن الانسان الأعلى هو إنسان استثنائي قيامي يمضي لبلوغ ما بعد الانسان الأخير، إلى ما بعد أو ثانه وأقانيمه يؤكد نتشه في كثير من مؤلفاته أنه لقد ماتت الألهة وإننا نريد في الوقت الراهن أن يحيا الانسان الأعلى ذلك الانسان الذي لا يعانق العالم انطلاقا مما يسميه نتشه القيم العليا أي الاخلاق الفلسفة، الدين أو ميتافيزيقا العقل بل من خلال الوثبة الديونيزوسية التي تواجه الحياة في طريقها الخلاق.[1]

[1] _ محمد الشيكر، هايدغر وسؤال الحداثة، افريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب، 2006، ص 60

هـ_ إرادة القوة هي الحياة في ثوبها الأصيل:

إن الانسان الأعلى الذي اقترحه نتشه يقدم ذاته كنموذج جديد في الكينونة الإنسانية له عصر وجوديا خاصا به، الانسان الأعلى يرتفع على كل ما هو منحط وقائم ويقوم ضد ما هو كائن، هو اعلان بنهاية الانسان الأخير وعبارة نتشه الشهيرة "**مات الإله**" لا توحي بأن الإله الأرثودوكسي قد قضى نحبه أو انقطع أثره في العالم بل هو بشارة لميلاد إنسان جديد له إنسانية خاصة به انسان يثبت ذاته في عالم انسحبت منه الألهة بغير رجعة وتنزلت قيمه في الدرك الأسفل، زمن الانسان الأعلى هو زمن إكتملت فيه العدمية بما هي انحطاط للقيم وخواء فادح، وافول للمعنى الانسان الأعلى هو شيء يعانق الوجود من خلال تجربة إرادة القوة كإرادة للبحث عن منبع جديد في الحياة لتأسيس القيم العالمية وبناء مرجعيتها من جديد لأنه من خلالها تتحرك حياة وتسير وفق ما تقدمه هذه القيم من نفس مع الانسان الأعلى تحل معه القيم النبيلة وأخلاق الراقية الأكثر وفاءا قيم ترسخ ميثاق الحياة الأصلي ومن ثم كل تأسيس للقيم من الآن فصاعدا يرتبط بإرادة القوة، لكن ماذا يقصد نتشه بإرادة القوة؟

يؤكد نتشه أينما تحل إرادة القوة تحل الحياة الأصيلة وهذه الإرادة المحرك الذي ينتج الحياة في ثوبها الخلاق وفي اندفاعها المتين إرادة القوة ليست ملكة نفسية أو قدرة ذاتية في كل مرة تتغير أو يصيبها الفشل وليست قوة بمعنى العنف أو المفهوم السلبي لها بالمفهوم الأنطولوجي هي القوة التي تنزع القناع عن الحياة وتتضح شموليتها.[1]

و_ مسألة العود الأبدي:

إن الإقبال على العالم والتعايش مع الحياة كإرادة قوة بخصائص الانسان الأعلى كون هذا الانسان يمثل نعو من الإنسانية الفائقة، أو هو مستوى مكتمل في الإنسانية هذا وجه من وجود نقد الحداثة حيث أن الإرث الفلسفي الغربي مزال غارقا في الماهية الأفلاطونية ولهذا فالإنسان الأعلى بالنسبة لنتشه هو الذي يحل محل الانسان الميتافيزيقي والانسان الأخير، والانسان الذي كان تأمن به العصور الحديثة لا يمثل النموذج الإنساني الحقيقي عند نتشه ومن ثم الانسان الأعلى هو الذي يجسد معنى الجسد والحياة في مسارها الخلاق هو الانسان الفنان المبدع لقيمه ولهذا انقضى زمن الآلهة وبالتالي **الإله مات** عند نتشه وذلك يعني أننا افتقدنا كل العلاقات التي من شأنها توصلنا إلى المستوى المطلق في القيم وفي حياتنا.

العود الأبدي عند نتشه هو دليل يشير ما يعبر عنه التراث الغربي الميتافيزيقي بثنائية الماهية والوجود، فإرادة القوة تسير إلى ماهية الوجود أما العود الأبدي نمط كينونة هذا الموجود أي كيف يوجد الموجود في

---

[1] _ محمد الشيكر، هايدغر وسؤال الحداثة، المرجع السابق، ص 61_ 62.

الحياة بكليته وكماله وقيمه الحقيقية وبهذا العود الأبدي يقصد به نتشه على العموم وجود عودة مستديمة وأوبة آبدة لنفس الأشياء في لبوس مغاير أي عودة للهوية في المغايرة وللذاتي في الاختلاف وهي مثل الصقر أثناء تحليقه الدائري حيث يرسم في الفراغ دوائر وحلقات بقدر ما تنغلق على ذاتها تنفتح على غيرها أو مثل الثعبان الذي يلتف حول النسر الجارح في عناق حميمي وفي رقصة باذخة وهذا كناية عن أن كل شيء يدور في دور مغلق ومطلق يعني كل شيء بالنسبة لنتشه هو في تناسخ وتكرار وهذا مالا يتقبله نتشه.[1]

في الختام يبقى فكر نتشه هو فكر نقدي للأزمنة الحديثة وايذانا بانقضاء عهد الحداثة.

[1] _ محمد الشيكر، هايدغر وسؤال الحداثة، المرجع السابق، ص64_ 65.